عز الدين القسام

« صباح يوم ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٥ استشهد الشيخ عزالدين القسام وثلاثة من رفاقه بعد معركة عنيفة وغير متكافئة مع مجموعات من قوى الاعداء الصهاينة والبريطانيين والرجعيين الفلسطينيين » .

شكلت حركة عز الدين القسام التي انطلقت من حيفا عام ١٩٣٥ احدى المنعطفات الوطنية والنضالية في تاريخ الشعب الفلسطيني ومناهضته للاعتداء الاستعماري البريطاني والحركة الصهيونية العالمية . فلقد ادرك الشيخ عز الدين القسام مدى خطورة تزايد الهجرة الصهيونية الى فلسطين والتي كانت تلقى التشجيع والتأييد من قبل الاستعمار البريطاني الذي كان يقوم بتقديم كافة المساعدات المادية والاعلامية وتهريب الاسلحة والذخيرة اليها والتي كشفتها حادثة سقوط احد البراميل من رافعة بحريد تعمل في تفريغ السفن في ميناء حيفا فتحطم وتناثرت منه الاسلحة والذخائر .

بدأت الحركة عملها في التحضير للثورة من خلال تحريض الجماهير وتعبئتها وتأمين السلاح لها . وقسمت نفسها الى خلايا سياسية جعلت من مهامها الاساسية في بادىء الامر كشف مخاطر الحركة الصهيونية وأطماعها في اقامة وطن قومي لشتات يهود العالم في فلسطين . بعد ذلك خرج الشيخ عز الدين القسام وبعض رفاقه الى « الريف » لنشر الدعوة لمقاومة الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني . حيث قدمت الحركة اول شهيد لها وهو محمد الحلحولي في ضواحي قرية « البارد » بعد ان ضحى بنفسه لتأمين انسحاب رفاقه من الكهف الذي حوصروا بداخله .

بعد عملية التعبئة والتحريض اتجه عز الدين القسام الى ممارسة العمل العسكري المنظم حيث قام « وجماعته » بتفجير قنابل في عدد من المستوطنات الصهيونية ومهاجمة دوريات العدو البريطاني . ولقد شملت عملياتهم - وهم الذين لم يتجاوز عددهم الاحد عشر ثائرا مناطق الجليل الاعلى وبيسان وجنين .

لقد مثل الشيخ عز الدين القسام ورفاقه الشيخ سعد السعدي والشيخ يوسف الزيباوي ومحمد حلحول وغيرهم بداية الانتفاضة الجماهيرية العارمة التي شهدتها فلسطين عام ١٩٣٦ . وما الحملة الضخمة والهائلة التي نظمتها قوات الاستعمار البريطاني لقمع حركة القسام الا دليلا واضحا على مدى القلق الذي كان يخامرها من خطورة سامي هذه الحركة وتأثيرها لدى الجماهير . ففي يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥ بدأ تجمع قوات الاعتداء المكلفة بالمهمة في مركز بوليس « عرابة » قضاء جنين . فاستقدمت فرقة « بوليس » من نابلس بقيادة المدعو توفيق بشارة من الناصرة وثالثة من طولكرم على رأسها ملازم بريطاني يدعى « هوليس » وفرقة « سواري » خيالة بقودها الملازم محمود هباب من حيفا . ومن الدروس التي تركتها تجربة عز الدين القسام في مواجهة هذه القوات المتفوقة عدد وعددا هو اسلوب حرب العصابات الذي اتبعته مجموعة القسام . حيث قام الشيخ عزالدين ورفاقه بالانسحاب من مزرعة « الطوم » الى احراج يعيد بهدف تشتيت قوات العدو وانزال اكبر عدد من الخسائر في صفوفه .

واستشهد القسام وثلاثة من رفاقه وبقلب جثث الشهداء الى حيفا .. وكان تشييعها عاملا مهما في اثارة الشعور الوطني لدى الجماهير الفلسطينية وبعث روح النضال فيها . فانتشرت خلايا « القساميين » في عموم انحاء فلسطين تسير على هدى رائدها لتشكل قنبل الانفجار للقضية الشعبية في وجه الاعتداء وحلفائه الصهاينة والرجعيين .

بقلم وليد سعيد